

أنوار كاشفة      سلسلة من يقول الناس إنني أنا؟      الحلقة الحادية عشرة

## أنا والآب واحد

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع في لقاء اليوم حديثنا عن حقيقة شخصية المخلص المسيح، وإن كان هو مجرد نبي كباقي الأنبياء أم شخصية مختلفة؟

وكنا قد تحدثنا عن عدة عجائب قام بها المسيح تؤكد حقيقة شخصيته الإلهية. كعجيبته إقامته للعازر من القبر، وشفائه للرجل المقعد، وللرجل الذي ولد أعمى، وإطعامه للجموع الغفيرة، وأيضاً عدم إدانته للمرأة الزانية. وقد رافقت هذه العجائب تصريحات هامة للمسيح، تؤكد أنه كلمة الله الأزلي المتجسد، وابن الله الوحيد. كقوله: أنا هو القيامة والحياة، أنا هو نور العالم، أنا هو خبز الحياة، أنا هو الباب، وأن له السلطان أن يقيم الأموات ويدينهم.

وفي اللقاء الماضي تابعنا التأمل بالمثل الذي تحدث به المسيح عن حظيرة الخراف. وتصريح المسيح أنه هو الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف. ولهذا قدم المسيح جسده كفارة من أجل خطية الجنس البشري. ثم أعلن المسيح أن خلاصه لن يقتصر على الشعب اليهودي، بل سيشمل البشر جميعاً. وأن جميع المؤمنين به من اليهود والأمم سيصبحون شعباً واحداً لله، أي رعية واحدة، يقودها راعٍ واحد الذي هو المخلص المسيح.

ثم أخبرنا البشير يوحنا أنه في تلك الفترة وأثناء الاحتفال بعيد تجديد الهيكل في أورشليم، بفصل الشتاء، كان المسيح يتمشى في الهيكل في قاعة سليمان. فتجمع اليهود من حوله وأخذوا يسألونه: " حتى متى تبقينا حائرين بشأنك؟ إن كنت أنت المسيح حقاً، فقل لنا صراحة." أجابهم المسيح: "إني قلت لكم ولستم تؤمنون. الأعمال التي أنا أعملها بإسم أبي هي تشهد لي. ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافي كما قلت لكم." (بشارة يوحنا ١٠: ٢٤-٢٦)

يبدو واضحاً أن اليهود كانوا في حيرة كبيرة. فهم رأوا المسيح يقوم بالعجائب الباهرة، ويصرح بتصريحات تؤكد حقيقة شخصيته الإلهية وارتباطه العميق بالله الآب. لكن المسيح لم يتطابق مع تصوراتهم عنه في أذهانهم. فهم ظنوا أن المسيح سيأتي كملك قوي عظيم، يجهز الجيوش الجرارة، ويقهر أعدائهم، ويحررهم من العبودية، ويقدم مملكة قوية تسود على باقي الممالك. لكن المسيح لم يخطو أية خطوة تجاه هذا الأمر. بل بالعكس تماماً، فقد كان المسيح يتحدث بكلام روعي لم يفهموا معناه، وفي أحيان كثيرة

مخالف لمفاهيمهم وتصوراتهم. وهذا ما أدى لإثارة حيرتهم، وكان لابد لهم أن يطرحوا عليه السؤال عن حقيقة شخصيته. فسألوه: إن كنت أنت المسيح حقا، فقل لنا صراحة. أي قل لنا بصراحة إن كنت أنت هو المسيح الملك المخلص الذي وعدنا الله بمجيئه منذ مئات السنين، وتتبا عنه الأنبياء.

إنه بالفعل طلب منطقي ومعقول. لكن الحقيقة هي أن المسيح كان قد أخبرهم عن حقيقة شخصيته وفي مناسبات عديدة، لكنهم لم يصدقوا كلامه. ولهذا أجابهم المسيح: إنني قلت لكم ولستم تؤمنون. أي لم تصدقوا كلامي، ولم تؤمنوا. ثم أضاف المسيح قائلا لهم: الأعمال التي أنا أعملها، أي العجائب التي أصنعها بإسم أبي، الله الأب، هي التي تشهد لي، وتؤكد على صحة إدعائاتي. لكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافي، أي لستم من أولادي. لقد وضع المسيح أصبعه على حقيقة المشكلة. فحيرة هؤلاء اليهود ليست ناتجة عن نقص في المعلومات، بل لأنهم لا يريدون أن يصدقوا. وكان المسيح يعلم أنهم لن يكونوا من أولاده، وأنهم بالتالي لن يؤمنوا به.

ثم كشف المسيح حقيقة هامة جديدة عندما صرّح قائلا: " خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي." (بشارة يوحنا ١٠: ٢٧ و ٢٨) إن المسيح يعرف الذين سيؤمنون به، والذين عندما يسمعون صوته يدعوهم، لا بد أن يلبوا نداءه ويتبعوه. ولهذا أكد المسيح لهم أنه سيعطيهم حياة أبدية، ولن يهلكوا إلى الأبد. فهل هناك أعظم من هذا التأكيد لخلاص كل من يؤمن بالمسيح.

لكن المسيح لم يتوقف عند هذا الحد بل أضاف حقيقة هامة أخرى بقوله: "أبي الذي أعطاني إياها أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي. أنا والآب واحد." (بشارة يوحنا ١٠: ٢٩ و ٣٠) إن الله الأب هو الذي يأتي بالناس إلى الإيمان بالمخلص المسيح عن طريق الروح القدس. وعندما يؤمن الإنسان يصبح في يد الله الأب القوية وفي حمايته، ومن غير المعقول أن يستطيع أحد أن يخطفه من يد الله الأب. هذا هو ضمان المؤمن بالمسيح أن خلاصه مضمون مئة بالمئة، لأن الله الأب نفسه هو الذي يضمن هذا الخلاص. حقا ما أعظم وما أدهش خلاص الله المقدم لنا من خلال المخلص المسيح.

لنلاحظ أن المسيح في إعلاناته هنا صرح أولا أن لا أحد يخطف المؤمنين من يده، ثم عاد وأعلن ثانية أن لا أحد يخطفهم من يد الله الأب. فهل هناك فرق وتمييز بين يد المسيح ويد الله الأب؟ من الواضح أن تعبير اليد هنا هو تعبير معنوي مجازي، أي أن المؤمن هو في حماية ورعاية المسيح والله الأب الكلية، ولن يستطيع أحد أن يُخرج المؤمن من تحت هذه الحماية الكاملة.

نعود الآن إلى السؤال الذي طرحناه قبل قليل إن كان يوجد فرق بين يد أو حماية المسيح، ويد وحماية الله الأب؟ والجواب الذي قدمه لنا المسيح هو بالطبع كلا. والسبب لأن المسيح كإبن لله هو واحد مع الله الأب. ولهذا نجد أن المسيح ختم تصريحه هنا بقوله: أنا والآب واحد. أي هناك إتحاد كامل بين المسيح كلمة الله الأزلي الذي هو ابن الله، والله الأب. وهنا كشف المسيح لليهود مرة أخرى عن حقيقة شخصيته الإلهية.

لكن هذا الأمر أثار غضب اليهود، إذ تناولوا حجارة ليرجموه. فأجابهم المسيح: أريتم أعمالا صالحة كثيرة من عند أبي. فبسبب أي عمل منها ترجمونني؟ أجابوه لا نرجمك بسبب أي عمل صالح، بل بسبب تجديفك. لأنك تجعل نفسك الله وانت إنسان. (بشارة يوحنا ١٠: ٣٢ و٣٣) لقد اعتبر اليهود تصريح المسيح أنه والله الأب واحد، تجديف لا يمكن السكوت عنه. لكن المسيح عاد وأجابهم: " أليس مكتوبا في شريعتكم، أنا قلت إنكم آلهة؟ فإذا كانت الشريعة تدعو أولئك الذين نزلت إليهم كلمة الله آلهة.. فهل تقولون لمن قدسه الآب وبعثه إلى العالم أنت تجدف، لأنني قلت أنا ابن الله؟ " (بشارة يوحنا ١٠: ٣٤-٣٦)

كان المسيح يعود دائما إلى العهد القديم من الكتاب المقدس، لكي يبرهن لليهود على صحة كلامه. فإذا كانت الشريعة اعتبرت أولئك الذين نزلت إليهم كلمة الله أنهم آلهة، فماذا نقول عن كلمة الله الأزلي المتجسد؟ أجل، ماذا نقول عن كلمة الله المتجسد، الذي أرسله الله الأب من السماء وولد من زرع غير بشري، بحلول الروح القدس في أحشاء العذراء مريم. وهل من الخطأ أن يقول عن نفسه أنه ابن الله؟ مع التوضيح هنا أنه ليس المقصود بعبارة ابن الله، أن الله تزوج وأنجب ابنا. حاشا وكلا. إنما المقصود بهذه العبارة هو إتحاد الابن مع الله الأب في الجوهر والطبيعة. وأن الابن هو الذي يعلن الله.

إن المسيح إذن يا صديقي ليس نبيا كباقي الأنبياء لكنه كلمة الله الأزلي المتجسد، ابن الله الوحيد. ولهذا وعلى أساس الإيمان به وبعمله الكفاري على الصليب، ينال الإنسان الغفران والخلص الكامل والحياة الأبدية. وماذا عنك مستمعي الكريم؟ هل مازلت محتارا في حقيقة شخصية المسيح؟ وهل مازلت تتهم المسيح بالتجديف لأنه اعتبر نفسه بحق أنه كلمة الله الأزلي وابن الله الوحيد؟